

الحلقة الرابعة

سلسلة رمز وحقيقة

برنامج أنوار كاشفة

فلك نوح

نتابع اليوم ما بدأنا به في اللقاءات السابقة ، وهو العودة إلى أحداث فجر التاريخ ، لنكتشف ما تشير إليه من معان ورموز . ولنعلم عن خطة الله الأزلية لإنقاذ الإنسان .

وكنا قد تحدثنا في اللقاءات السابقة عن خلق الله للإنسان . وعصيان الإنسان لوصية الله ، مما أدى إلى دخول الخطية حياته واستحقاقه للعقاب . لكن الله وعد الإنسان بالإنقاذ ، وتم هذا الأمر عن طريق المخلص المسيح.

وتحدثنا في الحلقة الماضية عن قبول الله لقربان هابيل ورفضه لقربان قابيل . وتبين لنا أن السبب يعود لأن هابيل قدم ذبيحة سفك فيها دما . وهذا يشير بدوره إلى تقديم المسيح جسده ذبيحة على الصليب كفارة لخطايانا.

نعود اليوم إلى حادثة أخرى هامة حصلت مع بداية التاريخ البشري ، وهي حادثة الطوفان ، ونجاة نوح وبنيه بواسطة الفلك الذي أمره الله ببنائه . وسنتأمل أيضا إلى ما تشير إليه هذه الحادثة من معان ورموز .

يخبرنا سفر التكوين أول أسفار الكتاب المقدس ، أن الله رأى أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، فحزن الله أنه عمل الإنسان . وقرر أن يمحو الإنسان الذي خلقه عن وجه الأرض . (راجع سفر التكوين الأصحاح السادس ابتداء من العدد الخامس ، وحتى نهاية الأصحاح الثامن) لكن نوحا وجد نعمة في عيني الله . فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامي . لأن الأرض امتلأت ظلما منهم . وطلب الله من نوح أن يصنع فلكا من خشب ، لأنه سيأتي بطوفان الماء ليهلك كل جسد .

وفعلا أطاع نوح الله ، وبدأ ببناء الفلك حسب الأوصاف التي وضعها له الله . وأخذ يخبر الناس في نفس الوقت ولسنين عديدة عن الطوفان الذي سيحل على الأرض ، لكن أحدا لم يصدقه .

وقبل سبعة أيام من الطوفان طلب الله من نوح أن يدخل الفلك مع جميع أهل بيته . وهم زوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم . لأن الله أقام عهده مع نوح . وفعل نوح حسب كل ما أمره به الله . وفي الوقت المحدد من قبل الله صار طوفان الماء على الأرض . ويخبرنا سفر التكوين ، أنه في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم ، وانفتحت طاقات السماء . وكان المطر أربعين يوما

وأربعين ليلة . وتعاضمت المياه كثيرا جدا على الأرض حتى أنها غطت جميع الجبال الشامخة . فمات جميع الناس وكل ذي جسد كان يدب على الأرض . فمحا الله كل قائم على وجه الأرض . ونجا نوح والذين معه في الفلك فقط .

حقا يا لها من حادثة مروعة ورهيبة . أدان فيها الله الجنس البشري بأكمله ، بسبب عظمة شروره وكثرة مفسده . لقد عصى الإنسان الله ثم غاص في الشر والإثم ، إلى حد جلب عليه دينونة الله العادلة . لكن الله استبقى نوح وأهل بيته ، والسبب لأن نوحا كان رجلا بارا وقد سار مع الله . وصدق نوح الله وآمن بأقواله ، وقام ببناء الفلك ، ثم دخل الفلك مع جميع أفراد عائلته .

ولهذا علّق كاتب سفر العبرانيين - من أسفار العهد الجديد - علق قائلا : " بالإيمان نوح لما أوحى إليه عن أمور لم تر بعد خاف فبنى فلكا لخلص بيته . فبه دان العالم وصار وارثا للبر الذي حسب الإيمان." (عبرانيين ١١:٧) أجل لقد آمن نوح بأقوال الله له أنه سيجلب طوفانا على الأرض ويهلك البشر . بالرغم من أنها كانت على عكس الأمور المادية المحسوسة أو حتى المتوقعة من منظار بشري ، وترجم إيمانه بالعمل فبنى الفلك . حقا لقد كان إيمان نوح عظيما ، لهذا أعتبر من أبطال الإيمان . لكن ما علاقتنا نحن اليوم بقصة الطوفان ؟ وكيف باستطاعتنا الإستفادة منها روحيا ؟

للإجابة عن هذه التساؤلات نقول: نستطيع تشبيه حالة عالمنا اليوم بوضع العالم قبل الطوفان ، ففساد الإنسان وشره فاقا كل حد وتصور . وكما أدان الله قديما الأرض بطوفان الماء ، سيدينها قريبا بالنار . ولهذا كتب الرسول بطرس في رسالته الثانية ، بعد أن تحدث عن الطوفان الذي حصل قديما ، كتب قائلا : " وأما السموات والأرض الكائنة الآن فهي مخزونة بتلك الكلمة عينها محفوظة للنار إلى يوم الدين وهلاك الناس الفجار ." (رسالة بطرس الثانية ٣:٧)

إذن إن عالمنا الحالي ينتظر دينونة من نوع آخر هي دينونة النار . وهي دينونة مرعبة ومخيفة، وأقسى بكثير من دينونة الماء . وهذه الدينونة لا بد أن تأتي على كل الناس الأشرار . أما متى ستحصل هذه الدينونة ، فإن الرسول بطرس يتابع حديثه في نفس الفصل فيقول: "ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السموات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التي فيها ." (رسالة بطرس الثانية ٣:١٠)

إن دينونة النار هذه ستحصل إذن في يوم الرب عند نهاية العالم . أي في اليوم الأخير عندما يقف جميع البشر أمام الله لكي يدانوا . ويُطرح كل من لم يقبل خلاص الله في بحيرة النار . أما موعد يوم الرب فسيكون فجأة وكلص في الليل هكذا يجيء . أي في ساعة غير متوقعة بالنسبة للبشر ، وفي وقت غير معروف لإله وحده . تماما كما يفاجيء اللص ضحيته .

وقد سبق للمخلص المسيح أن شبه وضع العالم عند مجيئه الثاني الباهر العظيم ليدين العالم ، بحالة العالم في أيام نوح وزمن الطوفان . وأكد في نفس الوقت أن مجيئه سيكون فجائيا وغير متوقع . قال المخلص المسيح : " وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . لأنه كما كانوا في الأيام التي قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون إلى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضا مجيء ابن الإنسان . " (الإنجيل بحسب بشارة متى ٢٤: ٣٧-٣٩)

يتضح لنا من هذه الآيات المقدسة أن مجيء الطوفان كان فجائيا ، بالرغم من سماع البعض عنه من خلال كلمات نوح المنذرة . وأن الناس ظلوا يعيشون حياتهم العادية من أكل وعمل وزواج إلى أن أتى الطوفان وأهلكهم . كذلك سيكون الأمر عند إستعلان المخلص المسيح في مجيئه الثاني الباهر العظيم . إذ سيظل الناس يمارسون حياتهم المعتادة وكأن شيئا لن يحصل . فيفاجئهم بمجيئه كلس في الليل فلا ينجون .

لعل السؤال الآن مستمعي الأعداء هل بإمكاننا النجاة من دينونة النار العتيدة ؟ وكيف ؟ أو بتعبير آخر هل يوجد فلك أو مكان آمن ندخل إليه كما دخل نوح قديما فنجا مع أهل بيته ؟

وللجواب نقول : بالتأكيد نعم . ولهذا أرسل الله كلمته الأزلي المخلص المسيح ، لكي يفدي الإنسان ويكفر عن ذنوبه ، وليهبه الغفران والحياة الأبدية .

إن توجد وسيلة للنجاة . وهذه الوسيلة هي شخص المخلص المسيح . وكما آمن نوح قديما بقول الله فبنى الفلك ودخل إليه ، علينا نحن اليوم أن نؤمن بالمخلص المسيح وبعمله الكفاري من أجلنا على الصليب . أي أصبح المخلص المسيح هو فلك النجاة الذي أعده الله لنا ، والذي يجب أن نحتمي به من دينونة الله العادلة التي ستقع حتما على كل الناس الأشرار . وذلك عن طريق الإيمان بهذا المخلص الفريد . ولهذا قال المخلص المسيح مرة : " الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية . ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة . " (الإنجيل بحسب بشارة يوحنا ٥: ٢٤)

فما هو موقفك صديقي ؟ هل تراك ترفض خلاص الله المقدم لك مجانا ، فيصادفك ذلك اليوم أي يوم الرب بغتة ، فتهلك كما هلك أولئك البشر زمن الطوفان ؟ أم تدخل عن طريق الإيمان إلى فلك النجاة الفادي يسوع المسيح ؟ وعندها لا تتجو من دينونة الله العادلة فحسب بل تحيا مع الله خالقك إلى الأبد .